

الباب الأول التربية

معناها . أهميتها للفرد والمجتمع .
أنواعها ، وغاياتها .

obeikandi.com

معنى التربية

لما كانت التربية مرتبطة بالحياة من كل نواحيها ، وكان رأى الناس فى الحياة يختلف باختلاف وجهة نظر كل إليها ، اختلف كذلك المفكرون فى أمرها . فبعضهم يعتبرها إعداد الفرد للقيام بواجباته فى المستقبل ، وإدراك الغاية التى ينبغى له الوصول إليها . كأن يهيئاً لأن يكون طبيباً أو مدرساً . وبعضهم يعتبرها عملية يراد بها إظهار القوى الباطنة الكامنة فى كل فرد ، واستثمارها لمصلحته ومصلحة المجتمع ، كالالتفاف من غرائز الطفل وذكائه . هذا وكان كثير من المفكرين قديماً يعتقدون أن الشخص يولد وفى رأسه قوى متعددة كالخس والإدراك والذاكرة والحكم والاستنباط وغيرها . وكانت وظيفة التربية عندهم تدريب تلك القوى بتكرار تمرينها بواسطة مواد التدريس المختلفة .

أما علماء التربية اليوم فيعتبرونها عملية نفسية ، ترمى إلى إحداث أفضل ما يمكن من التغيير والتهذيب فى طبيعة الإنسان ، لينتفع من ذلك فى حياته على وجه يجعله فرداً صالحاً للمجتمع ونافعاً لنفسه . والمقصود بطبيعة الإنسان ، ما وهبه الله تعالى من غرائز وقوى واستعدادات ونزعات مختلفة . فغرض التربية اليوم ينحصر فى تهذيب الغرائز والسمو بها إلى مستوى راق ، وتدريب القوى والاستعدادات الطبيعية تدريباً ملائماً تعود فائدته على الفرد والمجتمع معاً .

وتشمل التربية جميع المؤثرات التى تعمل على تغيير سلوك الإنسان الفطرى ، ورفعته إلى مستوى الإنسان الراقى ، وذلك بإعداد البيئة إعداداً صالحاً ، وتعديلها تعديلاً متزاناً ، يكفل للفرد النمو الطبيعى مع التهذيب

الملائم ، والتدريب المناسب ، ليرقى جسما وعقلا وخلقا ، ويصل بالتدريب إلى أقصى ما يستطيع الوصول إليه من الكمال ، فيسعد في حياته الفردية والاجتماعية على السواء .

أهميتها للفرد والمجتمع :

يولد الكائن الحي مزودا بكثير من الغرائز الفطرية ، والميول المختلفة ، والقوى المتنوعة . ومن هذه الغرائز غريزة المحافظة على النوع ، وتشمل التناسل والأبوة والأمومة ومحبة الصغار وحمايتهم .

فكل إنسان أو حيوان يسعى لبقاء جنسه ، والمحافظة عليه من الانقراض ، بدافع غريزي قوى ، ثم هو يحتفظ بصغاره يدافع عنها ويحميها ويعنى بها ، حتى تصبح قادرة على القيام بكل ما تتطلبه حياتها .

فالحیوان يتعهد صغاره بالرضاعة ، ثم يمرنها على البحث عن الغذاء ، والدفاع عن النفس ، إلى غير ذلك ، حتى تسلك السلوك المناسب لحياتها بدون مساعدة الوالدين . وكلنا نلاحظ أن مدة دربة الحيوان وتربيته غير طويلة ، ولا تستلزم مجهودا كبيرا من الوالدين . وذلك لأن غرائز الحيوان ناضجة منذ ولادته . كما أنها ثابتة إلى حد محدود . بعكس الإنسان ، الذي هو أطول الحيوانات طفولة ، وأحوجها إلى التربية . فهو الكائن الحي الذي يخلق عاجزا جاهلا محتاجا إلى من يحوطه برعايته ، ويقوده إلى الصراط السوي . ثم يتدرج في القدرة والعلم حتى يبلغ ما أعد له من الكمال على حسب استعداداته ، ومقدار العناية بتربيته .

ولكى نفهم مبلغ عجز الطفل في سنواته المبكرة وأهمية تربيته ، نذكر هنا شيئا عن حياته في خلال السنوات الثلاث الأولى :

يخلق الطفل ضعيف الجسم والعقل ، ناقص الإدراك والفطنة ؛ لا يؤتى

الكامل دفعة واحدة ، وإنما يصل إليه تدريجاً بالتربية الصحيحة والتعهد الصالح . وتتفاوت درجات نموه وكما له على حسب استعداده . وفي خلال السنوات الثلاث الأولى ، تحدث سلسلة من التغيرات تتفاوت في السرعة والبطء . فإذا نظرنا إلى أعضاء جسم المولود ، وجدناها ناقصة غير مستكملة لنموها . ولا نجد بينها من التناسب ما نجده في أجسام الكبار . فمثلاً نسبة حجم الرأس إلى الجسم كله . تكون أكبر بكثير في الطفل منها في البالغ . غير أن النمو في هذه المرحلة الأولى من الحياة يكون سريعاً جداً .

هنا من جهة تكوين الجسم والأعضاء . أما الحواس ، فكما موجودة ، إلا أنها لا تستطيع الإدراك دفعة واحدة بعد الولادة مباشرة . أما حركات الأعضاء ، فالطفل في البداية لا يكون قادراً إلا على بعض حركات منعكسة وغريزية كالمص والبلع في أثناء الرضاعة ، وتحريك الأصابع والجفون . وذلك لأن أعصابه وعضلاته لا تخضع في هذه المرحلة لسلطان إرادته ، إذ أن مواطن المنع حينئذ لا تكون ناضجة . ثم يستطيع القيام بالحركات الإرادية تدريجاً ، فيحرك يديه ورجليه حركات إرادية غير منتظمة . ثم يستطيع استبقاء رأسه وجذعه معتدلين ، ويتمكن من تحريك يديه ورجليه حركات كثيرة ، أميل للنظام من الأولى . ثم بعد ذلك يتعلم الزحف على يديه ورجليه ، ثم المشي بعد عناء كبير ، والانتقال من مكان إلى آخر ، مما يساعد على اتساع دائرة تجاربه وخبرته ، بتأثير البيئة التي يعيش فيها ، والتربية التي يحصل عليها .

(ويتأثر الطفل في هذه المرحلة بكل ما حوله من المؤثرات الحسنة أو لردئية ، لأنه مستعد لتقليدها جميعاً ، دون أن يميز بين ما حسن منها وما قبح . فهو قابل لأن يتشكل على الوجه الذي نشاء ، كما تتشكل العجينة اللينة في القالب الذي يروقنا .)

فعلى المربي أن يعنى بتربية حواس الطفل ، وأن يكون قدوة حسنة له فى كل شىء ، لأنه مرآة تنعكس عليها صورة كل معاشرته . وكلما نمت قواه ومداركه العقلية بتدريب حواسه المختلفة والعناية بها ، ازدادت رغبته فى فهم ما حوله تلبية لغريزة حب الاستطلاع المنبثقة فيه بالفطرة . فتراه يسأل عن كل شىء يقع عليه بصره ، ويمسك كل ما تتناوله يده ، ويحاول أن يحمله ويركبه ليكشف عن سره ، ويقف على حقيقة ويدرك ما خفى عنه .

من هذا يتضح لنا أن حياة الطفل ليست إلا سلسلة تغيرات متفاوتة فى السرعة والدرجة ، من حيث النمو الجسمى والعقلى . وأهم ما يجب علينا عمله هو تهيئة البيئة تهيئة مناسبة لتربية الطفل ، ثم العناية باختيار ما يناسب حال نموه ، لنسلك السبيل القويم فى تربيته التربية الصحيحة .

هذه نظرة عامة فى حياة الطفل الأولى ، تظهر لنا التغيرات التى يمر فيها فى سنواته المبكرة . ومنها نرى أن التربية ألزم للإنسان منها للحيوان ، إذ هى ضرورة لرفاهية الفرد والمجتمع .

وقد جعل الله الإنسان أطول الحيوانات طفولة ليكون لديه من الوقت ما يكتسبه من التعلم بنفسه ، مما يقوم به من التجارب العديدة فى لعبه ومرحه ، وما يكتسب من خبرة آبائه الذين يهيئون له الجو الصالح الذى يشبع رغبته ويضمن له عيشة رغيدة فى مستقبل حياته ، مستغلا فى ذلك ما زود به من القدرة على التعلم ، والاستفادة من الخبرات السابقة .

أنواع التربية :

لما كانت التربية هى عملية التأثير بجميع المؤثرات المختلفة للوصول بالطفل إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه من الكمال كانت تشمل ما يكفل : —

(١) نمو جسمه (التربية الجسمية)

(٢) تثقيف عقله (« العقلية »)

(٣) تهذيب نفسه (« الخلقية »)

وهذه هي أنواع التربية الثلاثة .

وهناك تقسيم آخر لبعض المربين . فإنهم يقسمون التربية إلى فردية واجتماعية . وتشمل التربية الفردية عندهم الثلاث الأنواع السابقة الذكر (الجسمية والعقلية والخلقية) .

التربية الجسمية : وهي العمل على تنمية الجسم نموا طبيعيا سليما ، وتقويته حتى يستطيع أن ينهض بالأعمال التي تفرضها عليه الحياة الشخصية والاجتماعية ، وليقاوم الأمراض المتعددة . فسلامة الجسم ضرورة للعمل عقليا ، كما هي ضرورة لسعادة المرء وهنائه .

وليست التربية الجسمية هي العناية بالرياضة البدنية فحسب . بل تشمل كذلك المنزل ونظام بنائه وتهويته . كما تشمل الملابس والأغذية والنوم والراحة وعدم الإرهاق وما إلى ذلك .

(التربية العقلية : وهي التسامح بسلاح المعارف المختلفة المفيدة للجهاد في سبيل الحياة ، وترقية العقل من جميع نواحيه ، وتدريبه تدريبا منظما على التفكير الصحيح ، وتمارين الحس على دقة التمييز ، وعلى إدراك الأشياء المحسوسة وتنظيم الذاكرة ، والتزويد بالمعلومات النافعة المناسبة لعقول الأطفال وحالة نموهم من غير إرهاق ، وتهذيب الخيال ، إذ هو عامل مهم من عوامل الابتكار والاختراع ؛ كذلك تعويد الطفل العادات الفكرية الحسنة .)

(والتربية العقلية لا تكون ناجحة إذا لم تكن حافزة للطفل على أن يبذل ما يستطيع من الجهد والتفكير فيما يعرض عليه ، وما يصادفه من مصاعب الحياة ، والعمل على التغلب عليها بنفسه .)

التربية الخلقية : هي تربية ترمى إلى تعويد الطفل جميل الصفات كحب العمل والشجاعة والاعتماد على النفس والصبر والتعاون وغير ذلك ، فهي تعمل على ما يأتي :

- ١ — تعديل الميول والغرائز الفطرية .
- ٢ — إكساب الطفل عادات وميولاً جديدة مناسبة لحاله .
- ٣ — تكوين عواطف سامية تجعل الفرد يميل إلى عمل الخير ، ويتبعد عن الشر ليتمكن من العيشة الهنيئة في حياته . وبذا يعمل على ترقية المجتمع مضعياً في سبيل ذلك بشيء من حرية ، مفضلاً مصلحة الجماعة على مصلحته الشخصية .

هذا وإن أقسام التربية الثلاثة ليست منفصلة بعضها عن بعض ، بل هي متصلة أتم الاتصال . فالتربية العقلية الصحيحة ، هي أيضاً تربية خلقية ، لأن الأخلاق مظهر من مظاهر العقل . كذلك تأثر حالة الجسم في العقل واضحة . ولو اقتصرنا عنايتنا على التربية الجسمية ، لنشأ الطفل كالحوان ؛ أو على التربية الخلقية وحدها ، لأصبح الطفل زاهداً في الحياة ؛ أو على ترقية العقل فقط ، لضعف الجسم حتى لا يقدر على القيام بما يتطلبه العقل .

هذا ولا يفوتنا أن نذكر كلمة عن التربية الاجتماعية لأن بعض المربين يعاق عليها أكبر الآمال ، لضمان سعادة الفرد وسعادة أمته . ذلك لأن الفرد إنما يعيش للمجتمع وبالمجتمع . فهو وحده بناء الأمة التي هي منبع خيره وسعادته . والآمم بأفرادها إن عبدوا علت وارتفعت ، وإن أهملوا ضعفت واستكانت .

ومن أنصار هذا الرأي « جون ديوى » ، المرني الأمر يبنى الذي تتمشى

فلسفته مع روح العصر الذى نعيش فيه . فالتربية فى نظر هذا العالم عملية اجتماعية ، الغرض منها :

(١) النمو وفقاً للطبيعة ، (٢) الثقافة والتدريب ، (٣) التكوين الاجتماعى ولا بد من أن ترتبط هذه الغايات بعضها ببعض ، كى تؤهل الطفل لأن يكون عضواً متوافقاً مع المجتمع الذى ينتمى إليه ، والبيئة التى يعيش فيها ؛ كما يجب أن تكون المدرسة المكان الذى يحيا فيه الطفل الحياة الطبيعية الملائمة لسنه وعقله ، وأن تكون فى الوقت نفسه على اتصال وثيق بالمنزل والحياة العامة .

عوامل التربية :

كل مؤثر يؤثر فى الفرد . ويجعله أصاح للبيئة الطبيعية فى بيئته ، يعد عاملاً من عوامل التربية والعوامل نوعان :

١ — عوامل عامة : وهى التى لا سيطرة لنا عليها فى تربية الطفل ، مثل الوراثة وصحة الوالدين ومناخ القطر وموقعه ومستوى أهل الطفل المادى والاجتماعى وغير ذلك ، وهذه العوامل تارة تنفع وأخرى تضر ؛ ولهذا يجب علينا أن ندرسها ، وأن نتدخل فيها تدخلاً فعلياً بقدر الإمكان حتى يتمكن الطفل من أن يستفيد منها ، وبذا يتجه المجتمع كله فى تطوره إلى وجهات صالحة .

٢ — عوامل خاصة : وهى مختارة من بين العوامل العامة الكثيرة ، بقصد التأثير فى نفوس النشء ، لإحداث تغييرات معينة لمصلحة الفرد والجماعة ، ومثلها البيت والمدرسة والمجتمع .